

القضاء في الإسلام

وأشهر قضائته

الأشهاد محمد شفيق العاني

يطلق القضاء لغة على الحكم ^(١) . ومنه قوله تعالى : وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ^(٢) أي حكم . ويرد في اللغة أيضاً على القتل [فوكزه موسى فقضى عليه ^(٣)] كما يرد على الموت والآنهاء والتقدير والآيات القرآنية الكريمة الآتية تشير الى تلك المعاني بالتسلسل فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ^(٤) . فاذا قضيت الصلاة فاذكروا الله ^(٥) . فقضاهن سبع سموات في يومين ^(٦) . وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ^(٧) . ويعرفه فقهاء الشريعة بأنه فصل الخصومات وقطع المنازعات على وجه مخصوص . والقضاء افضل مظهر يتمثل به العدل ^(٨) الذي به قوام المجتمع وبقاؤه فلا بقاء اذا لم يكن هنالك عدل ولا عدل اذا لم يكن هنالك قضاء يتمثل به كامل معناه . ولقد اعتبر الاسلام القضاء بلحق من أقدس الواجبات ولهذا جاء في الحديث الشريف : عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة . ولقد أبعث الرسول والمجتمع العربي لا يحكمه نظام

(١) اصول المرافعات والصكوك في القضاء الشرعي . محمد شفيق العاني .

(٢) الامراء الآية (٢٣) (٣) النقص الآية (١٥) (٤) الاحزاب الآية (٢٤)

(٥) النساء الآية (١٠٣) (٦) فصلت الآية (١٢) (٧) الاحزاب الآية (٤٦)

(٨) القضاء في الاسلام ، عارف التكدوي .

قضائي إنما يخضع لعادات واعراف قبلية فهمها وأحاط بسوابقها وحمل بها واتخذها مصدراً
للأحكام وحل المنازعات كهنة ومكزون ينتخبهم ذوو المشاكل والخصومات وذوو الحقوق
والمدعيات وكانت توضع لدى المحكمين بعض الضمانات من الاموال يلتزم ذووها بقرارات
المحكمين وذلك كله كان يجري في المدن الكبيرة والصغيرة وبين القبائل ممن لا يخضعون
لنظام سياسي معين ، اما من كان يخضع من المدن الى حكم امير سياسي فقد يفصل ذلك
الامير بالخصومات وفقاً لاعراف القبيلة وعادات ذلك المجتمع . ومن عرف بجودة الرأي
وأصالة الحكم اكرم بن صيفي وسطيح الكاهن كما كان عامة العرب وثنيين الا أن قسماً
من مستنيرهم الذين اختلطوا بالكتابيين كانوا ممن يؤمنون بالبعث وبوجود آله واحد
سوف يحاسبهم على ما قدمت ايديهم من خير او شر ومن أئمتهم قس بن ساعدة الاياضي
وأمية بن ابي الصلت وزهير بن ابي سلمى (١) .

وقد دعت الى زعماء بني سهم في قريش قبل الاسلام بعض المنازعات فأحتم اليهم
القرشيون وغيرهم من العرب ممن وفدوا على مكة ومن تولى التحكيم بينهم هاشم بن
عبد مناف وابنه عبد الله وابو طالب بن عبد المطلب والفاصل بن وائل وذو الاصبع
العدواني ، حتى اذا جاء الاسلام وبعث محمد كافع اول ما كافع الوثنية وعمل جاهداً
لاستئصال شأفة الشرك وهدم هياكل الاصنام وابطال عبادتها وبعد أن ثبتت عقيدة
التوحيد واعتنقها العرب طائعين مخلصين .

مضى في تثبيت نظام الحكم الجديد واقامة اعمدته وازكانه . فأرسل علي بن ابي طالب
عاملاً وقاضياً الى اليمن وارسل معاذ بن جبل قاضياً لناحية اخرى من اليمن . وقد روى (٢)
عن علي بن ابي طالب انه قال بعثني رسول الله ﷺ الى اهل اليمن فقلت انك تبعثني الى
قوم يسألونني ولا علم لي قال فوضع يده على صدري وقال إن الله سيهدي قلبك ويثبت
لسانك فاذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقض حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الاول

(١) القضاء في الاسلام - الدكتور عطية مدرسه (٢) اخبار الامة - لوكين

فأنه أحرى أن يتبين لك قال علي فما زالت قاضياً وما شككتني في قضاء بعد .

وقد روى عن معاذ أن رسول الله عليه الصلاة والسلام بعثه إلى اليمن فقال له : كيف تقضي إن عرض لك القضاء قال اقضي بما في كتاب الله قال فإن لم يكن ذلك في كتاب الله قال اقضي بسنة رسول الله قال فإن لم يكن ذلك في سنة رسول الله قال اجتهد رأيي ولا آلو قال فضرب رسول الله صدره بيده وقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله . وقد وجه رسول الله أبا موسى الأشعري عبد الله بن قيس إلى اليمن قاضياً كما أرسل عتّاب بن أسيد إلى مكة .

ونستطيع أن نتبين من الحديث الأول أنه يتعلق بأصول الحكم فلا يصح الحكم على غائب وهو ما أخذ به الإمام أبو حنيفة إذ قال : ولا يحكم على غائب ضرورة أن يسمع كلام خصمه وقد صح عنده حديث علي وعمل به ، والظاهر أنه أتجه إلى وجوب احضار المدعى عليه جبراً إذا أقيمت عليه دعوى مدنية ، أما حديث معاذ فهو بيان لمصدر حل الحوادث القضائية فإذا انعدم الحل في مصدره فما على القاضي إلا أن يجتهد بمقاصد الشرع العامة . . والرسول الأعظم يعتبر المنظم الأول للقضاء الإسلامي وهو أول قاض فيه فقد روى في مسند أحمد عن أم سلمة زوج النبي عليه الصلاة والسلام أنها قالت جاء رجلايت يختصمان في موارد بينهما قد درست وليس لهما بينة فقال رسول الله انكم تختصمون إلي وإنما أنا بشر ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض وإنما اقضي بينكم على نحو ما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار يأتي بها اسطاماً في عنقة يوم القيامة فيبكي الرجلان وقال كل منها حقي لأخي فقال الرسول إذا فقوما فاذهبا فلنقسما ثم توخيا الحق ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه (١) .

ويستنبط من هذا الحديث أن قضاء الرسول اجتهادي وإن أسباب الحكم هي البينات، وإن الحكم يخضع للبيانات الظاهرة (وذلك منطوق الحديث) وإنما نحكم بالظاهر والله يتولى

(١) سرطاً مالك ... تاريخ القضاء في الإسلام لابن عروس .

السراير ، ويستنبط من الحديث ذاته ان حكم الحاكم لا يحل حراماً ولو جاء عن بيعة لان البيعة قد تكون غير صادقة وليس لدى القاضي ما يكذبها وذلك منطوق الحديث اذا حكم الحاكم فأجهد ثم اصاب فله اجران واذا حكم فاجتهد ثم اخطأ فله اجر (١) .

لقد جاء الرسول بحمل بيده كتاب الله وقد اكد ذلك الكتاب العظيم وهدف الى شيئين فيما يتعلق بالقضاء والحكم واول الهدفين تقديس العدل ووجوب اتباعه ورعايته والمخاطبون به ذوو الولايات على اختلافهم والهدف الثاني تربية الوازع الداخلي في الفرد المؤمن وتهذيبه خلقياً بحيث ينزع في سلوكه الى الفضيلة ويبتعد عن كل ما يشينه ، ومن الآيات الواردة فيما يختص بالهدف الاول قوله تعالى : (يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى) (٢) واذا قلم فاعدلوا ولو كان ذا قربى (٣) .

واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل (٤) .

الى غير ذلك من الآيات الكريمة التي تأمر بالعدل واتباعه وبالحكم بالحق الذي امر الله رسله وانبيائه بأيضاله الى ذويه (يادارد (٥) انا جعلناك خليفة في الارض فأحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك .

هذه الآيات الكريمة تبعها احاديث عديدة جاءت بالمعنى السالف منها ان المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم واهلهم وما ولود وقوله عن يمين الرحمن معناه في الحالة الحسنة والمنزلة الرفيعة والعرب تنسب الفعل المحمود والاحسان الى اليمين وضده الى الشمال .

وفي كتاب ابي حبيب عن ابن شهاب ان رسول الله قال ما من احد اقرب مجلساً من الله يوم القيامة بعد ملك مصطفى او نبي مرسل من امام عدل وجاء في الحديث ان الله مع

(١) بنوخ للرام لابن حجر المستقلى . (٢) سورة المائدة الآية ٨

(٣) الانعام الآية ١٥٢ (٤) النساء الآية ٥٨ (٥) ص الآية ٢٦

القاضي ما لم يحف هذه التوجيهات المهدبة اوجدت في القاضي المؤمن بالدين الجديد وازعاً دينياً لا يقل عن الوازع الديني الذي اوجد في افراد المجتمع الجديد الذين هذبهم كتاب الله وآياته وعظاته وتوجيهاته الاخلاقية فعدالة القاضي ومستوى الفرد الخلقى سهلا مهمة القاضي وقتلا شرور الرد وذلك ما جعل تشكيل السلطة القضائية ابتداء بجزء الاسلام غير موسعة اذ لا ضرورة في ذلك انما كان الخليفة نفسه هو القاضي وهو صاحب السلطة التنفيذية وكان الناس يسألون الرسول على طريقة الاستفتاء فيجيبهم بالحلول الشرعية التي كانوا يمتثلونها بوصفها تتعلق بعقيدة دينية واجبة الاتباع . وكانت تصدر من الرسول اثر الحوادث المستفتى عنها كلمات جوامع جعلت يتابع لاستنباط اصول استماع الدعوى واحكام الحوادث .

منها ما روى عن ابن عباس عن النبي عليه السلام قال : لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال واموالهم ولكن الميمن على المدعى عليه وعن عبد الله بن عمر عن النبي قال : البينة على المدعى والميمن على المدعى عليه . وعن حزيم بن فانك قال : صلى النبي صلاة الصبح فلما انصرف قام قائماً فقال عدت شهادة الزور بالاشراك قالها ثلاث مرات ثم قرأ فأجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به . ان القضاء وان كان عملاً اصلياً من اعمال الخليفة الذي يعتبر هو الامام الا انه يجوز للامام ان يولي قاضياً في البلد الذي هو فيه ، ففسد روى ان رجلين اختصما الى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال النبي لعمر بن العاص افض بينهما فقال افضي بينهما وانت حاضر ؟ فقال (افض بينهما فان اصبحت فلك اجران وان اخطأت فلك اجر) وفي رواية ان اصبحت فلك عشر حسنات وان اخطأت فلك حسنة واحدة (١) .

واخرج الطبراني عن مسروق ! قال كان : اصحاب القضاء على عهد رسول الله ﷺ ستاً عمر وعلياً وعبد الله بن مسعود وابي بن كعب وزيد بن ثابت وابا موسى الاشعري (٢)

(١) جواهر العقود وعمين القضاء والموقعين والشهود لشمس الدين الاسيوطي .

حاشية اخبار القضاء - لوكيع .

وكان يعتبر اصحاب الرسول علياً اقضاهم فقد روى عن ابن عباس انه قال : قال عمر على
اقضانا وقد كثرت رواة هذا القول . وقد حدثت الاثني عشر بن سعد بن ابي وقاص قال في شيء
من القضاء ما عرفناه حتى علمناه زيد بن ثابت ، اما عبد الله بن مسعود فقد قال آتى علينا
حين لا نقضي ولا نحسن القضاء ثم قدر الله ما ترون وقد ارسله عمر بن الخطاب الى الكوفة
على بيت المال والقضاء وكتب عمر الى اهل الكوفة بعد ارساله لهم ، انتم رأس العرب
وجامعتها وانتم سبهمم الذي ارمي به اذا خشيت من هاهنا وهاهنا وقد بعثت اليكم
عبد الله بن مسعود خيره لكم وآثرتمكم به على نفسي .

وبعد أن التحق الرسول عليه الصلاة والسلام بالرفيق الاعلى ترك لصحابه كتاب الله
وسنة رسوله يستهديان بهديها وولي الخلافة بعد الرسول ابو بكر فأسند قضاء المدينة الى
عمر بن الخطاب وقضاء البحرين الى انس بن مالك وابقى قضاء الرسول ، وكان يعتبر القضاء
زمن ابي بكر جزءاً من الولاية ايضاً عدداً من عينوا خاصين للقضاء حتى جاء زمن عمر بن
الخطاب فأنتسعت رقعة البلاد الاسلامية وكثرت مهام الولاية واصبح من المتعذر الجمع
بين الولاية والقضاء ففصل عمر بن الخطاب القضاء من الولاية فولى ابا الدرداء معه بالمدينة
كما ولى شريحاً بالبصرة وولى ابا موسى الاشعري بالكوفة وكتب له في ذلك الكتاب
المشهور الذي تدور عليه احكام القضاء خاصة فيما يختص منها بأصوله وقد عني القضاة
المسلمون القدامى بذكره ممن كتب في تاريخ القضاء لما تضمنه من فصول القضاء ومعاني
الاحكام وجعل من المراجع في كتابة اصول المرافعات في القضاء الاسلامي ، واليك هو
كما جاء في كتاب اخبار القضاة لوكيع المتوفى في السنة السادسة بعد الثلاثمائة وهذا هو
ويذكر للثورخون كتباً عديدة كتبها الى ابي موسى الاشعري اهمها الكتاب التالي
للنوه عنه : اما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا ادلى اليك فانه
لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له وآس بين الاثني عشر في مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف
في حيفك ولا يياس ضعيف من عدلك ، الفهم الفهم فيما يختلج في صدرك ويشكل عليك

مما لم ينزل في الكتاب ولم تجر به سنة واعرف الاشياء والامثال ثم فس الامور بعضها
 ببعض فأنظر اقربها الى الله واشبهها بالحق فأتبعه واعمد اليه ولا يمنعك قضاء قضيته
 بالامس راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك فان مراجعة الحق خير من التماذي في الباطل
 المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلوداً او مجرباً عليه شهادة زور او ظنيماً في ولاء
 قرابة واجعل لمن ادعى حقاً غائباً امدأ ينتهي اليه او بيعة عادلة فانه اثبت للحجة وابلغ في
 العذر فان احضر بيعة الى ذلك الاجل اخذ حقه والا وجهت عليه . البيعة على من ادعى
 واليمين على من انكر ان الله عز وجل تولى منكم السمائر ودرأ عنكم بالشبهات وايدك
 والقلق والضجر والتأذي بالناس والتنكر للخصم في مجالس القضاة التي يوجب الله فيها الاجر
 ويحسن فيها الفخر من حسنت نيته وخلصت فيها بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس
 والصلح جائز بين الناس الا صلحاً احل حراماً او حرم حلالاً ومن زين للناس بما يعلم الله
 منه غير ذلك شانه الله فما ظنك بشواب عند الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام .
 وقد حدثت النسائي عن الشعبي عن شريح قال كتب الى عمر اذا اتاك قضاء فأقض بما
 في كتاب الله فان اتاك بما ليس في كتاب الله فأقض بسنة رسول الله ﷺ فان اتاك
 ما ليس في سنة نبي الله فأقض بما يجتمع فيه رأي المسلمين فان اتاك ما لم يجتمع فيه رأي
 المسلمين فأختر احدي اثنتين ان شئت فأجتهد رأيك وتقدم وان شئت فتأخر ولا ارى
 التأخير الا خيراً لك (١) .

كيف يختار القاضي :

ان مهمة القضاء موكولة الى المخيفة الذي هو الامام وقد يختار غيره لهذه المهمة اذا
 وجد فيه جدارة القيام بها فقد انتخب الرسول قضاة واعرض عن تعيين قسم من الصحابة
 رغم طلبهم منه ذلك وقال من ابتغى القضاء وسأل فيه شفعا وكل الى نفسه ومن اكره
 عليه انزل الله ملكا يسدده ، رواه الترمذي وابو داود (٢) . ثم جعل للولاء والعمال حق

(٢) التاج الجامع للاصول ج ٣

(١) اخبار القضاة لوكيع ج ٢

تعيين القضاة وذلك في الصدر الاسلامي وفي العهد الاموي الا ان الخلفاء كانوا يقيدون
عمالهم في اختيار من هو الافضل فقد كتب الامام علي الى عامله في مصر كتاباً فوض له
فيه الاختيار بعد ان ذكر له طريقة ذلك اذ قال فيه : ثم اختر للحكم بين الناس افضل
رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الامور ولا تحمكه الخصوم ولا يتهاذى في الذلة ولا يحصر
من التقيء الى الحق اذا عرفه ولا تستشرف نفسه على طمع ولا يكتفي بادنى فهم الى اقصاء
اوقمهم في الشبهات واخلهم بالحجج واقلمهم تبرماً بمراجعتهم الخصوم واصبرهم على كشف
الامور واصرمهم عند انضاح الحكم ممن لا يزدهيه المرء ولا يستميله اغراء واولئك قليل
ثم اكثر تعاهد قضائه وافسح له في البذل ما يزيل غلته وتقل معه حاجته الى الناس واعطه
من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك فيا من بذلك اغتيال الرجال له عندك (١) اه
ان القضاة الذين كان يقع عليهم الاختيار في الصدر الاسلامي وفي العهد الاموي وفي
العهد العباسي ايضاً كانوا مجتهدين فضلاً عن تقواهم وشدة ورعهم ولذلك نجد قسماً كبيراً
يبتعد منهم عن قبول منصب القضاء ويعتذر بقوة حتى ولو اكره مخالفة الله وخشية
الوقوع في الخطأ خاصة والاحاديث الكثيرة التي وردت عن الرسول بعضها آخذ برقاب
البعض الآخر في التحذير عن الوقوع فيما يتعلق في مخاطر القضاء ، فقد روى ان الرسول قال
يجاء بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يشقى انه لم يقض بين اثنين ،
وقد روى ان الرسول قال لابي ذر : يا ابا ذر اني لأراك ضعيفاً وانني لأحب لك ما احب
لنفسى لا تأمرن على اثنين ولا تتولين مال اليتيم . وفي الحديث قاضيان في النار وقاض في
الجنة ، وفي حديث آخر من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين كل هذه الاحاديث اوجدت
رهبة في قلوب المؤمنين الخاشعين الذين تقدمت بهم مواهبهم الى درجات الاجتهاد حتى
امتنع عن منصب القضاء فقهاء كثير ومن جملتهم الامام ابو حنيفة (٢) ، فقد عرض عليه
القضاء ثلاث مرات فأعتذر اولها آخر الحكم الاموي حينما طلب اليه ان يكون قاضياً

(١) تاريخ القضاء في الاسلام لابن عروس (٢) تاريخ القضاء لابن وكيع

في الكوفة من قبل ابن هبيرة والي الكوفة وطلب اليه مرتين من قبل الخلفاء العباسيين فامتنع ، وعن نفر من القضاة عبد الله بن وهبة وسفيان الثوري وزعفر بن هذيل وآخرون غيرهم . ومن كتب له أن يلي القضاء في الثلاثة القرون الاولى بل وفي القرن الرابع ايضاً كان يحرص اشد الحرص على ان يكون عادلاً في حكمه خاضعاً لقوتين مخافة الله ، ونداء الاخلاص من قلبه وكان هؤلاء مجتهدين في احكامهم لا يقلدون احداً في احكامهم ويتساوى امامهم الكتابي والسلم والخليفة وغيره من افراد الناس لا سلطان لاحد عليه في القضاء غير كتاب الله وسنة رسوله .

ويذكر الكندي ان ام المهدي ام موسى بنت يزيد بن المنصور بن عبد الله الحميري وقع بينها وبين ابي جعفر المنصور خصومة ، فقالت لا ارضى الا بحكم غوث بن سلمان قاضي مصر فحمل الى العراق حتى حكم بينه وبينها ورجع الى مصر وقد حكم غوث لصالح ام المهدي ولم يغضب ابو جعفر من حكم هذا القاضي عليه بل اراد ان يوليه حكم الكوفة ولكن القاضي رغب ان يعفيه منه لان البلد ليس بلده (١) .

ويقول ابن خلكان : « كان ابو يوسف قاضي الرشيد بل قاضي القضاة في ايامه شهد عنده يوماً من الايام الفضل بن الربيع وزير الخليفة فرد شهادته فعاتبه الخليفة في ذلك قائلاً : لم رددت شهادته ؟ قال سمعته يقول لك انا عبدك فان كان صادقاً فلا شهادة للعبد وان كان كاذباً فكذلك ، وكانوا يشترطون فيمن يولى القضاء شروطاً كثيرة وهي الاهلية الكاملة مضافاً اليها الاسلام فيما يختص بالقضاء بين المسلمين عادلاً سليم السمع والبصر غير محدود بقذف وان يكون رجلاً ، ويقول ابو حنيفة بجواز قضاء المرأة فيما تصلح فيه شهادتها وبعدم جوازه فيما لا تصلح فيه شهادتها ، اما ابن جرير الطبري فيجوز قضاءها في جميع الاحكام (١) واشترط في القاضي ان يكون عارفاً بأسرار التشريع وان يكون مجتهداً لا مقلداً غيره في تفسير او تأويل .

(١) الاحكام السلطانية لفاوردي

وكان تعيين القضاة مستمداً من الخليفة ابتداءً وكذلك صلاحيته الآن العهد والولاية
 فوضوا ذلك خلال الصدر الاسلامي والعهد الاموي . وكانت تضيق وتتسع مهام القضاة
 وصلاحيته وذلك بوصفه وكيلاً للخليفة او الامام وللحوكل تعيين صلاحيات وكيله زماناً
 ومكاناً وحادثاً ولذلك قال الفقهاء القضاء يتخصص بالزمان وبالمكان وبالخصوصات وعلى
 هذا فاذا كانت ولاية القاضي عامة فيفصل في الخصومات المتعلقة بالحقوق والاموال
 والحجر والوقف والاحوال الشخصية وحتى الجنائيات . واذا كانت خاصة فيذكر في عهد
 التعيين ما يخص به وقد درج القضاة ايضاً على اصدار احكامهم زمن العباسيين وهم
 مستقلون بعضهم عن البعض الآخر بوصفهم مجتهدين ولكل رأيه واجتهاده مما جعل
 صدور احكام متباينة في الاشباه والنظائر من الحوادث والنوازل فرأى ابن المقفع ان يرفع
 الامر الى ابي جعفر المنصور ليضع نظاماً للقضاء فكتب في رسالته للمروفة برسالة الصحابة
 الى امير المؤمنين ومما ينظر فيه امير المؤمنين من امر هذين للصيرين وغيرها من الامصار
 والنواحي اختلاف هذه الاحكام المتناقضة التي بلغ اختلافها اسماً عظيماً في الدماء والاموال
 فيستحل ذلك بالخيرة وهما حرامان بالسكوفة الى آخره ، ثم قال فلورأى امير المؤمنين ان
 يأمر بهذه الاقضية والسير المختلفة فترفع اليه في كتاب ويرفع معها ما يحتاج به كل قوم من
 سنة او قياس ثم نظر امير المؤمنين في ذلك وامضى في كل قضية رأيه وينهي عن القضاء بخلافه
 فكتب بذلك كتاباً جامعاً رجونا ان يجعل الله هذه الاحكام المختلفة الصواب بالخطأ حكماً
 واحداً صواباً ورجونا ان يكون اجتماع السير قرينة لاجماع الامر برأى امير المؤمنين
 وعلى لسانه (١) .

وقد بذل ابو جعفر المنصور جهداً كبيراً في حمل المسلمين على الرجوع والاعتماد على
 كتاب واحد جامع يرجع اليه القضاة والمسلمون في اقضيتهم وفتاواهم وكان يريد ان

(١) تاريخ القضاء في الاسلام لابن عروس

يكون موطأ مالك فهناك الامام مالك عن ذلك بكلمته المشهورة (قد يكون عند غيرنا من صحابة رسول الله من تفرقوا في البلاد الاسلامية ومن اتباعين ما ليس عندنا) فتعذر على المنصور تنفيذ ما اراد بعد أن سمع رأي الامام مالك .

الا أن ابا يوسف عند تعيينه قاضياً للقضاة ببغداد زمن الرشيد عمل على توحيد الاحكام القضائية بصورة غير مباشرة وذلك بتعيين القضاة في كل الامصار ممن تفقوا فقه ابي حنيفة واصول فقهه الا ان ذلك لم يدم طويلاً اذ أن القضاة كانوا يحكمون وفق الفقه الذي تفقوه وقد يعين في المدينة الواحدة قضاة متعددون لمذاهب مختلفة كما كان يجري في مصر زمن العباسيين وفي القرنين الثالث والرابع نضج القضاء الاسلامي شكلاً وموضوعاً فقد ألفت في ادب القضاة كتب متعددة وهي التي تتعلق باصول استماع الدعوى القضائية كما ألفت كتب كثيرة في المواضيع الفقهية وكان يستعين القضاة بالفقهاء في الوصول الى سلامة الاحكام كما اضاف القضاة ثروة فقهية الى مادة الفقه بما اصدروه من أحكام ، واستمر الوضع كذلك حتى ضعفت روح الاجتهاد بعد القرن الرابع الهجري والى تأسيس الخلافة العثمانية التي رسعت تشكيلات القضاء الشرعي وصلاحيات قضااته واناظت رقابة ذلك بمؤسسة المشيخة الاسلامية وكانت تحت ادارة تلك الخلافة الاقطار العربية التي حكمت بالفقه الاسلامي ثم شرعت مجلة الاحكام المدلية سنة ١٢٨٦ هـ المشتملة على المعاملات المدنية واصول القضاء وجرى العمل بها في جميع المحاكم النظامية ثم ادخلت بعض القوانين العربية سنة ١٢٥٥ هـ كقانون التجارة والاراضي والجزاء وشرع قانون العائلة الذي مصدره الفقه الاسلامي فيما يختص بالاحوال الشخصية للمسلمين وشرعية اهل الكتاب فيما يختص الكتابيين واخيراً صدر قانون المرافعات الشرعية ٨ محرم سنة ١٢٣٦ هـ والذي قرر العمل به في العراق سنة ١٩٢٢ م بقرار من مجلس الوزراء وبه اقتصر

التقضاء الشرعي على رؤسة قضايا الاحوال الشخصية والوقف فقط ثم رفعت مادة الوقف
من وظائف المحاكم الشرعية بذيل المرافعات لسنة ١٩٦٣ م .
هذه فكرة اجمالية عن القضاء في الاسلام الذي كان كل ما يهدف اليه هو احقاق
الحق وتوزيع العدل في المجتمع ذلك القضاء الذي ثبت اصله واستطال فرعه وكان مستقلاً
فما يقضي به لا سلطان عليه غير احكام شريعته التي كان يعترف من معين لها لا ينضب
وعسى ان تستفيد الدول الاسلامية من تراثها الخالد مع الزمن .

محمد شفيق العاني